

الشعرية واللغة المفارقة في رواية " حوبة ورحلة البحث عن المهدي
المنتظر " لعز الدين جلاوجي، نموذجاً.

Poeticism and Language Paradox in the Novel of "Houba
and the Journey of the Search for the Coming Mahdi," by
Azzedine Djlaoudji

* الباحث: عبد العزيز نصراوي

Abedlaziz Nesraoui

مخبر مناهج النقد المعاصر وتحليل الخطاب

معهد اللغة والآداب، جامعة عبد الحفيظ بوالصوف، ميله / الجزائر

University of Mila- Algeria.

a.nesraoui@centre-univ-mila.dz

تاريخ النشر: 2020/03/15

تاريخ القبول: 2020/01/17

تاريخ الإرسال: 2019/05/16

ملخص البحث

الشعرية مفهوم يجمع بين علم الشعر والنص الأدبي، يركز على تنظيم القوانين التي تشكل بناء النص الإبداعي؛ حيث تخترق اللغة حدود الاستخدام، وتنزاح إلى مستويات أدبية وفنية مختلفة. من خلال رواية " حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر" لعز الدين جلاوجي، نحاول الكشف عن العناصر الشعرية والجمالية والخطابية التي تمنح القارئ إمكانية التفسير وفقاً لخصائص جمالية مفارقة، أبرزها اللغة الشعرية.

الكلمات المفتاحية: الشعرية، المفارقة، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، جلاوجي.

Summary

Poeticism is a concept that combines the science of poetry and literary text. It focuses on the regulation of the laws that constitute the construction of the creative text; where the language breaks through the boundaries of use, and moves to different literary and artistic levels.

Through his novel Houba and the Journey of the Search for the Coming Mahdi, by Azzedine Djlaoudji. We tried the disclosure of poetic, aesthetic and rhetorical elements that give the reader the possibility of interpretation according to the characteristics of aesthetic paradox, most notably poetic language.

* عبد العزيز نصراوي. a.nesraoui@centre-univ-mila.dz

Keywords: Poeticism, Paradox, Houba and the Journey of the Search for the Coming Mahdi, Djlaoudji.



***-مدخل:**

يدلّ مصطلح الشعريّة (Poétics) على « علم موضوعه الشعر». ¹ أو « نظريّة معرفيّة متعلّقة بتقنيّة العمل الشعريّ وجماليّاته». ² وباعتبار الأسلوب نوعا من الانزياح الفرديّ، تتحوّل الشعريّة إلى « علم الأسلوب الشعريّ». ³ وبخصوص علاقتها باللّغة يعرفها (رومان جاكسون) (Roman Jacobson) على أنّها « لغة عن اللّغة، تتحدّى اللّغة وما وراء اللّغة ممّا تحدّته الإشارات من موحيات لا تظهر في الكلمات، ولكنها تختبئ في مساربها». ⁴ وأنّ جلّ اهتمامها ينصبّ حول « مجموع الآليات والإمكانيات الجماليّة التي تجعل من عمل ما فنيا وأدبيا والوقوف أيضا على ما يميّز به العمل الأدبيّ في كافة جوانبه». ⁵ أي أنّها تسعى إلى « وضع نظريّة عامّة ومجرّدة ومحايدة للأدب بوصفه فناً لفظيا، إنّها تستنبط القوانين التي يتوجّه الخطاب اللغويّ بموجبها وجهة أدبيّة. فهي إذن تشخّص قوانين الأدبيّة في أيّ خطاب لغويّ». ⁶

يرى (تريفان تودوروف) (Tzvetan Todorov) أنّ الشعريّة، تشمل الشعر والنثر، وما يعينها هو نوعية الخطاب الأدبيّ في حدّ ذاته، لأنّها لا تُعنى « بالأدب الحقيقيّ، بل بالأدب الممكن، وبعبارة أخرى: تُعنى بتلك الخصائص المجرّدة التي تصنع فُرادة الحدث الأدبيّ، أي الأدبيّة». ⁷ وهو ما يعطى المصطلح، مدلولات تهدف إلى بناء نظريّة أدبيّة تقوم في الأساس على: « اختيار إمكانيّة من الإمكانيات الأدبيّة؛ أي اتّخاذ المؤلّف طريقة كتابيّة ما». ⁸ تسمح له بفكّ الشفرات وفق مجموعة من القوانين يُنتجها فعل الاختراق والتجاوز. إنّها لا تكفي عند حدود استنباط القوانين التي يتمكّن من خلالها المبدع أن يتحكّم في نتاج نصّه؛ بل تتعدّى إلى إبراز هويّته الجماليّة، ومنحه القراءة الأدبيّة بالاستناد على الوظيفة الاتصاليّة والجماليّة.

ظهرت شعريّة السرد، قصد إبراز جماليّة اللّغة وتأثيرها في المتلقّي، بفعل التوتّر الذي تحدّته، والترقّب في تداخل العلاقات الممكنة، وفي إخفاء البعد الأيديولوجيّ « كون هذا الجنس الإبداعيّ، بحسب (ميخائيل باختين) (Mikhail Bakhtine)، توليفا، وشكلا غير منجز، أو خليطا من الأجناس التي سبقته، [...] من هنا ساهمت الرواية في تطوير الشعريّة وتوسيع آليات

اشتغالها.⁹ وخلق جماليات تتلاءم مع بنية النص السردي. وفي المقابل تطوّر اهتمام الشعريّة بطريقة السرد وبالأشكال الأدبيّة، مع أبحاث (جيرار جينيت) (Gérard Genette) الذي يؤكّد أنّ جامع النصّ هو موضوع الشعريّة « أي مجموع الخصائص العامّة أو المتعلّية التي ينتمي إليها كلّ حدث. »¹⁰ وانطلاقاً ممّا يؤكّده (بول فاليري) (Paul Valéry) في مقولته من أنّ « كلّ كتابة أدبيّة هي شعريّة. »¹¹ يمكن طرح سؤال إشكاليّ: إلى أيّ مدى يمكن الاستفادة من عناصر الشعريّة لإثراء جمالية النصّ الأدبيّ؟ والأكيد أنّ السبيل لذلك سيكون باللّغة، التي ترتقي بدورها من مجرد لغة استعمال عاديّ إلى مستوى شعريّ، يضمن لها لغة ثانية بفضل المجاز والرّمز والانزياح والتكثيف، والتقابل في المعاني والعلاقة الضديّة، والتقارب الصوّقي والصّرفي للكلمات.

– عناصر الشعريّة في رواية "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر"

نتناول في هذه الرّواية، جملة من العناصر التي تجلّت فيها اللّغة الشعريّة المفارقة، باعتبارها منحزاً يستمدّ جماليته السردية في إطار القيم الشعريّة، وهو ما نتج عنه « تحويل اللّغة من كونها انعكاساً للعالم أو تعبيراً عنه أو موقفاً منه، إلى أن تكون هي نفسها عالماً آخر، ربّما بديلاً عن ذلك العالم. »¹². وعلى هذا الأساس حاولنا إبراز هذه العناصر، وتبيين وظيفتها الجماليّة ضمن اللّغة السردية، ولعلّ أهمّها:

– أولاً: شعريّة العنوان

تتطلّب شعريّة العنوان علاقة ارتباط بين العنوان والنصّ؛ لأنّ العنوان « مفتاح التّأويل [...] يشير في المتلقّي هاجس التّوغلّ في كنه العمل. »¹³ فيتحوّل من مجرد مفتاح كاشف عن مغالبيّ النصّ إلى عمليّة مجازفة ومراوغة مشبّعة بالرّموز والإيحاءات القابلة للتّأويل، والتي تستدعي استحضار جملة من القراءات التفسيرية الشارحة لتلك البنيات، تبعاً لما « يقدّم لنا من معرفة كبرى لضبط انسجام النصّ، وفهم ما غمض منه. »¹⁴ وعليه، فإنّ العنوان الموسوم بـ (حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر)، يعدّ في ذاته واقعة لغويّة، وأوّل دالّة خطيّة تداوليّة تواجه القارئ؛ حيث يشير فيها ملفوظ (حوبة) إلى امرأة ضعيفة، يتوالى حضورها في الواقع، لكنّها تنماهى في أزمنة تاريخيّة، تبحث لذاتها عن أمل، ووجود وتمركز، في انتظار عودة المفتقد المقدّس، لأنّها « تؤمن به وتنتظره بشوق كبير، وتظنّ تحكي عنه دون ملل أو كلل. »¹⁵ لكنّ السارد يصدمها بوجه من أوجه المفارقة منذ الوهلة الأولى، بنفي قاطع مفاده أنّه لا يؤمن بالمهدي المنتظر لأنّه يعتبره « مجرد

خرافة رسمها خيال العامة المنهزمين تعلقاً منهم بأمل ما، سيشرق يوماً ليهزم ظلماتهم.¹⁶ حيث إنه يتكوّن من مقطعين، وبتجزئتهما بفارق، وإيقاع زمنيّ تنتج الخلخلة الأولى، يحدث انزياح عن المألوف، ممّا يعيد تشكيله بلغة تتدفّق منها شعريّة متوقّعة، تتحدّد فيها هويّة الرواية، في فضاء يغلب عليه سواد اللّون، وغموض يكتسح المستقبل نتيجة تراكم أحداث تاريخيّة تجسّد شخصيات النّص، إبان الحقبة الاستعماريّة. وهو ما ينعكس أثره في المتن مثبتاً حالة من التّشاؤم تطبع الأحداث، والمكان بما يحتويه من سواكن ومتحرّكات، من جماد أو حياة. ومن ذلك قول الروائي:

- « هي سيل من دماء سوداء.¹⁷

- « وصمتاً معاً يقبلان صفحات الماضي المسوّدة.¹⁸

تتوسّط الغلاف دائرة صغيرة ضبابيّة بلون بنفسجيّ يوحي لنا بالألم، والوحدة والتأقلم فيما وراء العقل، أمّا الضبابيّة ففيها إحالة قصديّة تنقلنا إلى قصّة اختفاء (المهدي المنتظر) بحسب ما ينقلها إلينا المخيال الشّعبيّ؛ وإلى اعتقاد أتباعه بأنّه رمز الأمل وهو المحرّر والمخلص من كلّ أشكال القهر والظلم.

• المقطع الأوّل " حوبة ورحلة البحث عن "

اصطبغ هذا المقطع، بلون أحمر بما يمثّله من استجابة انفعاليّة تجسّد عشق الراوي ل (حوبه)، كما أنّها ترمز إلى الحرب والدمار وما استنزفته البلاد من مآسي، نلمسها لدى شخصيات الرواية، كغضب (أولاد بلخير) من مقتل أبيهم والتأّر له من (القايد عبّاس)، لذلك ووردت ألفاظ (الحمرة) لتثبت صراعا ورغبة في تغيير الواقع، ومخاطرة من أجل تحقيق الغاية، كما في قول الروائي:

- « كان الطّاهر ممدّدا على حائك مزركش يغلب عليه اللّون الأحمر.¹⁹

- « وفي مقدّمته القايد عبّاس على جواده الأحمر.²⁰

في حين تتجاوز كلمة (حوبه) خطيّة القراءة السّطحية القابضة في المعنى اللّغوي إلى دلالات منغرس، وفي إمكانات أخرى و « على نحو يقدّم فيه صانع المفارقة النّصّ بطريقة تستثير القارئ وتدعوه إلى رفض معناه الحرفيّ، وذلك لصالح المعنى الخفيّ، الذي غالبا ما يكون المعنى الضّد، وهو أثناء ذلك يجعل اللّغة ترتطم ببعضها البعض بحيث لا يهدأ للقارئ بال إلا بعد أن يصل إلى المعنى الذي يُرضيه.²¹ لذلك يحاول القارئ فكّ الشّفرة الغامضة عن اللفظة، إمّا من الواقع أو من

المتخيّل، لتصبح ذات رموز متعدّدة، فتتحوّل: حاكية، قارئة، حبيبة، شهرزادا، كاهنة، راوية، ومردّدة أشعار. كما في قول الرّوائي:

- « وحبوبة حين تحكي تكون كالعين النّضاحة. »²²
- « ما أجمل أن تقرأ لك امرأة لأفها تنازلت لك عن عرش الحكيم. »²³
- « ما أحلى أن أجلس إلى حوبه حبيبي السّاعات والأيام والسّنوات. »²⁴
- « وإن تكن هي شهر زادي فأنا لست شهريارها. »²⁵
- « ربما أنت أدري يا كاهنة الحيّ. »²⁶
- « روت حوبه أنّ أمقران قال رواية عن السّابقين. »²⁷
- « تبسّمت وراحت تردّد شعر نزار قبّاني. »²⁸

• أما المقطع الثّاني: "المهدي المنتظر"

تلوّن بلون أصفر، « يرمز إلى السّرور والابتهاج والدّبول والنّور والإشعاع. »²⁹ يحمل مفارقات دلاليّة تجمع بين التّفاؤل، والثّقة، وبين الخوف، الاكتئاب، والقلق، وهو ما يفجر الدّلالات الممكنة لتثبت واقعا آخر تنضوي تحته الآلام والأحزان على واقع الحال، والتّاريخ والإنسان، مثلما يقول الرّاوي:

- « ألم يقرأ لنا سي الطّالب من كتابه الأصفر، أنّ كلّ ذي عاهة جبار. »³⁰
- « صفرة شديدة في عينيها ووجهها. »³¹
- « كانت الصّفرة تزحف على كلّ جسدها. »³²

إنّ اعتماد هذا المقطع على ملفوظات شعبيّة وأسطوريّة، يحقّق غاية فنيّة وجماليّة، وهي العودة إلى البدء من « أجل التّمعن في الحاضر المعيش واستنزاف المستقبل، وكأنّه يبحث عن ذات افتقدتها، وعن حضارة اضمحلّت أركانها وتحلّلت أسسها، ومن ثمّ يجمع بين الدّائريّ والموضوعي. »³³

تتفرّع من العنوان الرّئيسي، ثلاثة عناوين رمزيّة، سمّاها الكاتب "بوْحًا". و(البوح)، في اللّغة: « ظهر الشّيء وباح الشّيء ظهر [...] وباح ما كنتم وباح به صاحبه وباح بسرّه أظهره. »³⁴ وهي تشير إلى كلمة محذوفة تُؤوّل بـ (مكان) أو (مقام) لكي تصطبغ بصبغة شاعريّة وصوفيّة. والبوح يظهر بفعل حبّ مقدّس، أو لأجل اعتراف بخطأ؛ غير أنّ مفارقة الرّاوي تظهر في تعبيره بلغة تشير

إلى تسلط لغة القلب على لغة العقل، ولذلك عمد إلى تشبيهه (حوبه) بشهرزاد، ثم تعالق هو الآخر بحوبه، بدليل اعترافاته في استهلال كل بوح.

• البوح الأول معنون بـ " أنات الناي الحزين "

يحاول الروائي أن يوح بشدة تعلقه بحوبه التي تمثل ذات (المرأة)، التي يتغلغل حضورها في الوعي الأسطوري والتاريخي، لتتعالق بـ (شهرزاد)، مكوّنة غيمة تلهو وتسبح، كما في قوله:

« ليتنا يا حويتي غيمتان

تلهوان على أرجوحة الريح في أمان

تسبحان في لجة السماء وتضحكان.»³⁵

هذا التعلق المتجسد حاضرا، في صورة (العربي) و(حمامة)، يجعل من ذات المبدع تتفاعل مع (حوبه) في الممكن والمستيق، وهو الصدى ذاته المتعالق بين (شهريار) و(شهرزاد) في المخيال الشعبي، مما يولّد خطيّة زمنية ضديّة ومتقابلة، تمتدّ من الماضي وتتجاوز الواقع، ويتحوّل معها الناي - بما يثيره من أنين وحواس، وتراسل،- إنسانا تنبعث من دواخله مشاعر مؤلمة وانفعالات تفتح على علاقات بين خطابين متكاملين، لا يكادان ينفصلان، أوّلها سابق، وثانيهما لاحق.

• البوح الثاني معنون بـ " عبق البارود والدم "

يستمر الروائي في بوحه الثاني، ليعبر عن مدى شوقه، وافتقاده لحوبة التي ترمز إلى (الوطن). وطن تلون بالسواد، ليعقد مفارقة لونية بين البارود الأسود، وبين الدم الأحمر، فيتحوّل البارود وسيلة تعيد بعث الحياة وترفع الظلم عنه. غير أنّ الصّورة تنصرف لدى المتلقّي إلى عبق الورد، الأزليّة. فيما يبقى الراوي مشتاقا إلى ذات المكان، بكلّ حركاته وسكناته، بسمعه وبصره، مثلما يقول:

« كنت مشتاقا إلى حوبه، أن أجلس إليها، أن أسمع منها حكاياتها التي لا تنتهي، أن أتصّفح وجهها وردة أزليّة لا تدبل أبدا.»³⁶

• البوح الثالث معنون بـ " التهر المقدّس "

ينهي الروائي بوحه الثالث، بدهشة الوعي، التي تعيده إلى تمثّل الواقع، فيكتشف جسامة الضياع والحسرة على (حوبة) التي ترمز إلى (التاريخ)، بقوله:

- « ورحت عبر الزجاج أعانق التضاريس الجميلة من حولي، معيدا إلى ذاكرتي كل مغامراتي مع حوبه. »³⁷

في لحظة الوعي هذه، تتجلى شعرية التفاصيل للتاريخ والماضي، وهي تؤكد رغبتها باستعادة الذاكرة، بكل صورها، وجزئياتها لتلتقي كلها لا في النهر المقدس.

- ثانيا: شعرية اللغة

أصبحت اللغة الشعرية في معمارية الرواية، لا تمتلك خاصية التفجير والوهج، فحسب؛ بل أضحت « شيئا قائما بحد ذاته كعمل تنظر إليه وتتأمله وتتعلق وتتغنى به روحا وفكرا. »³⁸ ولا يتأتى لها ذلك إلا « بتبادل عناصر الشاعرية بين الشعر والنثر. »³⁹ إضافة إلى غلبة نمطية اللغة الشعرية « وهذا قد يعلل انفتاح الرواية على الشعر كأداة للتعبير الروائي، فتمتزج بذلك اللغة السردية باللغة الشعرية لتشكّل إيقاع الخطاب الروائي، وهو إيقاع غنائي يعكس عمق معاناة الذات الكاتبة واغترابها عن واقعها المعيش. »⁴⁰

يتجلى تبادل عناصر اللغة الشعرية، من خلال خرق قوانين اللغة العادية، بالجمع بين النثر والشعر حيناً، وبين اللغة الفصحى والعامية حيناً آخر، وهو ما يقيم علاقات غير متوقعة بين الألفاظ المتجاورة، وهو ما يستدعي استحضار نصوص غائبة، يتحوّل معها النص إلى « فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت بتقنيات مختلفة. »⁴¹ تظهر في هذه المقطع الذي يصور فيه الروائي شخصية (الزيتوني) حالما ب (حمامه)، في قوله:

- « وجلس في مكانه يغزل سيجارة أخرى، ويترنم بأبيات لابن قيطون، حالما بحمامه:

خدها ورد الصباخ

واقرنفل وضّاح

الدم عليه ساخ

وقت الصّحويا. »⁴²

يزداد التعلق بالأحبة والديار، وتتردد صدى الذكريات في إيقاع متناغم مترافق يجمع بين الهدوء والثورة، كما في تعلق (العربي) ب (حمامه)، إذ ذاك يتخذ من دغدغة عيون (القصبية) ألحانا كالماء الزلال تتجاوب معه الجبال والوهاد، فيحسن أن الطبيعة تعزف معه وترقص، كما في قوله:

- « ويتراقص طيف حمامه في خياله، فينطلق مغنّيا بشعره:

عندي حمامه ترن في برج عالي
حرقث قلبي وشغلث لي بالي
صوتها لحن مشكل لالي يا لالي
مشيتها حجله تثير دلالي.⁴³

ويتفاهم شعور (العربي) بالاغتراب بعد هروبه إلى مدينة (سطييف)، التي كانت تثير في قلبه الدهشة والانبهار، وهي جائمة على هضبة عالية، تحيط بها السهول السوداء المتدفقة ماء وغلالا كالجازية الهلالية وهي تجلس عروسة في هودجها المزدان، وبنفسية مكسورة يفصح لنا عن أثر هذا الفراق، كما في قوله:

- « يا ليل خبّرتني بالله، ما أقواني
كيف خلّيت أهلي وجيراني؟
قلبي لحزين يبكي ما هنائي
ما حمل غرّبتني ما حمل أهواني.⁴⁴

وهنا يتضح نوع آخر من النسق الشعري نتج عن العلاقات الضدية بين الكلمات، باستعمال الترادف والتقابل والتقارب الصوتي والصرفي، باعتبار أنّ الكلمة « لا تحمل معها فقط معناها المعجمي بل هالة من المترادفات والمتجانسات.⁴⁵، ومن هذه العلاقات، نذكر:

أ- علاقة الترادف

الترادف في اللغة، مشتق من « الردف: ما تبع الشيء. وكلّ شيء تبع شيئا، فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء، فهو الترادف، والجمع الردائي.⁴⁶ وبوجه عام، هو ما اختلف لفظه واتفق معناه، أو هو إطلاق عدّة كلمات على مدلول واحد، فهو يُعنى بـ « تعدّد الدوال التي تشير إلى مدلول واحد.⁴⁷ ومن أمثلة ذلك، قول الروائي:

- « ليس إلا صيحات القتال المنذر بالويل والثبور.⁴⁸

- « بدا قاهرا لمصباح بتروبي هزيل، ووهج الجمر البلوطي الضعيف.⁴⁹

ب- علاقة التقابل

التقابل في اللغة، بمعنى: « المقابلة: المواجهة، والتقابل مثله وهو قبالك وقبالتك أي تجاهك.⁵⁰ وتجمع الدراسات على أنّ التقابل ينحصر في الطباق والمقابلة، كنوع من المحسنات

المعنوية التي تندرج في باب البديع؛ حيث أنها تقوم أساسا على « الجمع بين متضادين، أي معينين متقابلين في الجملة، كالليل والنهار، والأسود والأبيض. »⁵¹ ومن أمثلة ذلك، قول الروائي:

- « وكان بلخير وهو كبير العرش يمنحه ما لا يمنح لغيره. »⁵²

- « سواء أغمض عينيه أم فتحها. »⁵³

ت- علاقة التقارب

التقارب في اللغة، من « القرب نقيض البعد. »⁵⁴ والتقارب سواء أكان صوتيا أم صرفيا، فهو يدلّ على اقتراب حاصل « بين صوتين من أصوات اللغة بسبب اتحاد المخرجين أو قريهما، أو تأثير أو تأثر صفاتهما، نتج عنه تأثر أحدهما بالآخر، وميله إليه فأدى إلى خفة وتسهيل في الأداء. »⁵⁵

* ومن أمثلة (التقارب الصوتي)، يقول الروائي:

- « يا ناس يا ناس، هو سيد الناس، يرفع الباس، ويعلي الرأس، اسمه بالعين ييدا، والنفوس له تهدا، يرفع راس بلادنا، ويعز نفوس أولادنا. »⁵⁶

- « أنا دائما معك في السراء و الصّراء. »⁵⁷

* أمّا من أمثلة (التقارب الصّري)، فيقول:

- « ما زاره مظلوم إلا انتقم له من ظالمه. »⁵⁸

- « قالت حوبة وهي تقلّب عينها السوداوين الواسعتين، كأنما تقلّد شهرزاد:

بلغني أيها الحبيب الطّريف، ذو الخلق اللطيف، أنّ ... »⁵⁹

- ثالثا : شعريّة المفارقة

تمثّل المفارقة (Paradoxe) شكلا من أشكال الوعي، « إذ تكاد لا تستثني نشاطا إبداعيا يأتيه الإنسان، وتبدو في مظاهر شتى تتصل بالوجود والمجتمع، ومن ثمّ تنعكس صورها على الأدب متمثلة في أوجه التناقض والتضاد. »⁶⁰ فهي إذن قول يُساق فيه معنى ما، في حين يُقصد منه معنى آخر، يؤتى بها لغرض الكشف عن المعاني المتخفية وما تثيره من وجدان، وبعبارة أدق: « قول شيء بطريقة تستثير لا تفسيرا واحدا بل سلسلة لا تنتهي من التفسيرات المغيرة. »⁶¹ وهذه التفسيرات تحدث في ذاتها « ثورة على الذات، [...] وعلاقة مركبة بين الإنسان والعالم. »⁶² ومن

ثم فإنّ المفارق لا يستطيع أن ينظر إلى شيء دون تصوّر نقيضه. ومن أبرز أنواع المفارقات التي تحلّت المتن الروائي، ما يلي:

1- مفارقة النّعمة

وتعني أداء المنطوق بنعمة تهكميّة، « يعوّل عليها في إطار التعارض أو التّضادّ، بين ظاهر المنطوق وباطنه، بين سطحه وعمقه، بحيث تقتلع هذه النّعمة التّهكميّة محتوى ذلك الظّاهر لمصلحة الباطن المضادّ.⁶³ ، ومن أمثلتها:

* المفارقة بنعمة التّهكم؛ في الحوار بين (عيوبه)، و(الزّيتوني)، في قول الروائي:

- « قال عيّوبه:

- هل تؤمن بالعفريت؟

قال الزّيتوني:

- طبعا هو مذكور في القرآن، والنّاس الثّقة يتواترون نقل أخباره، وظهر كثيرا، خاصّة في شعبة العفريت، لماذا تسأل عنه وأنت أكبر عفريت؟⁶⁴»

* المفارقة بالإهانة في كياسة وأدب؛ في الحوار بين (العلجه)، و(حمامه)، في قوله:

- « ضحكت العلجة معلّقة:

- يا عفريته! وهل نجد أنسب لذلك العفريت منك؟ يسعدني أن تكوني معي، ولكن ألا يعشقتك

ابن عمّك عيوبه؟

وانفجرت حمامه، فضربت قلب القصعة بيديها، فتطاير الطّمي على وجهها.

أحبّته عفاريت شعبة العفاريت، وكسّرت عظامه المعوجّة.⁶⁵»

* المفارقة بالتهكم بالألقاب؛ في الحوار بين (الشيخ لكحل)، وزوجته (عقيلة)، في قوله:

- « احتقن وجه الشّيوخ لكحل، وقال:

- أردناه عونا على عبّاس الظّالم، فإذا به يجعل منه سيّد النّاس.

- ومن أدراك أنّه يقصده؟

سألت زوجته عقيلة فردّ:

- ومن غيره يبدأ بالعين ويمكن أن يكون سيّدا؟⁶⁶»

2- المفارقة اللفظيّة

وهي « شكل من أشكال القول، يساق فيه معنى ما [...] يخالف غالبا المعنى السطحي الظاهر. »⁶⁷ وقد يكون « المعنى الظاهري واضحا، ولا يتسم بالغموض وله قوة دلالية مؤثرة. »⁶⁸ تحدث انقلابا في الدلالات، أو هي تعبير يخفي معنى يستهدفه المتكلم؛ ولكنه يختلف عن المعنى الظاهري الذي يبيده. كما ورد في الحوار الذي دار بين القايد (عبّاس) وخادمه (حميدة)، في قول الروائي:

- « ستبتسم لك الدنيا أكثر، لن أنسى خيرك أبدا.

انتشى حميده من مديح سيده، فاعتدل في جلسته وقال:

منك الأمر ومي الطاعة. »⁶⁹

- « ردّ حميدة وعلى شفّته ابتسامه خفيفة:

- لا شيء يعرّ عليك، كلنا طوع أمرك، إمّا أن تحلق إليك بإرادتها وإرادة أهلها، أو أتيناك بها

عنوة، وإن شئت جفناك بسرب من الحمام. »⁷⁰

3- المفارقة السياقية

تعتمد المفارقة السياقية على القارئ « في استنباط وكشف التعارض بين المعنى الظاهري والخفي. »⁷¹ وفيها ينتقل اللفظ « من حقله الدلالي المعروف له في أصل الاستخدام إلى حقل دلالي آخر، بحيث يقيم مع لفظ آخر داخل الاستعمال اللغوي الخاص علاقة دلالية جديدة، من نوع التّضادّ أو التّخالف، لغاية انتقادية. »⁷² ، ومن أمثله، نذكر:

أ- المفارقة بالتضادّ في وصف شخصية (عيّوبه)، في قول الروائي:

- « ظهر عيّوبه يلمز الأرض لمّا [...] ما ظهر إلا وهو يحمل في جرابه أخبارا جديدة. »⁷³

ب- المفارقة بالتخالف في الحوار بين (عقيلة) والدة (حمامه) وأبيها و (سي الطالب)، في قوله:

- « واشتدّ ألم حمامه وأمتها عقيلة التي نطقت متوسّلة: ارحمه وحقّ ما حمل صدرك من قرآن، قال الأب متمتما: لكن له قلب يهودي، قال سي الطالب وقد أعطى فرصة للمنجل كي يستردّ أنفاسه:

- بعد شهر ستحمل بذراعك هذه بغلا كاملا، أنا أعالج بالريّانية، ورثتها عن أجدادي هبة من

الله. »⁷⁴

- خاتمة:

استطاعت الشعريّة أن تنتقل إلى الحقل السردّي لتضفي عليه توجّها إيديولوجيًا وجماليًا،
بتفعيل خاصّيّ: التوتّر والترقب، وهو ما يمثّل في حدّ ذاته تيارًا، يجذب إليه القراء، ويمنحهم بدائل
متعدّدة تستجيب للذات ولرؤية العالم.

تمكّنت شعريّة العنوان من خلق علاقة تواصل بين العنوان وبين المتن، وهو ما يربط بين
القراءات التفسيرية وبين الاحالات الضمنية، وفق مفاهيم وصياغات تكسر أفق التوقعات،
بوساطة اللّغة التي تنتقل من حيّزها الاستعماليّ إلى عوالم أخرى، قابلة للتخفيّ والتمثّل.

أضفت اللّغة الشعريّة بألفاظها وتعدّد مستوياتها تنوعًا في الخطاب فنيًا وجماليًا، بفضل المزاوجة
بين الشعر والنثر، وهو ما حقّق توازنا بين اللّغة الحسيّة وبين التصوُّص الغائبة، وبذلك تحوّل النصّ
السردّيّ إلى مجموعة من الأنساق الشعريّة، تحتلّ في ذاتها وجود علاقات ضديّة متنوّعة.

وإجمالًا، يتّضح لنا من خلال دراستنا لرواية " حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر " لعزّ
الدين جلاوي، أنّها تفيض بعناصر الشعريّة في بنيتها السردية، من عنوانها واستهلالها وخاتمتها،
حيث نقلت صور الوعي القائم بين الفرد والمجموعة، إلى الواقع والممكن، لذلك استعان الروائي
بآلية المفارقة، بحضورها وإشعاعها، بلفظها وصورها؛ لتباین مستويات اللّغة التعبيرية. وهو ما يجعل
المتلّقي مائلًا في فضاء دراميّ، يمزج فيه بين الحضور التاريخيّ وبين الاستدعاء الأسطوريّ، في تناغم
زمينيّ يتوافق مع متطلّبات الحداثة السردية، وهو ما يؤهّل العمل الروائيّ إلى أن يتبوأ مكانته في
ميدان الدّراسات الأدبيّة والتّقديّة.

هوامش:

- ¹ - محمود درابسة: مفاهيم الشعرية، دراسات في النقد العربي القديم، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط1، 2010، ص15.
- ² - المرجع نفسه، ص15.
- ³ - المرجع نفسه، ص16.
- ⁴ - رومان ياكسون: قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب-مراكش، ط1، 1988، ص31.
- ⁵ - فتحي بوخالفة: شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة، عالم الكتب الحديثة إريد، الأردن-عمان، ط1، 2010، ص371.

- ⁶ - حسن ناظم: مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي، لبنان-بيروت، ط1، 1994، ص16.
- ⁷ - المرجع السابق، ص، ن.
- ⁸ - المرجع نفسه، ص19.
- ⁹ - فانسون جوف: شعرية الرواية، تر: لحسن أحمامة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، سوريا-دمشق، ط1، 2012، ص8.
- ¹⁰ - جبرار جينيت: مدخل لجامع النص، تر: عبد الرحمان أيوب، دار تونقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب-مراكش، ط2، 1986، ص21.
- ¹¹ - نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونيجمان، مصر-القاهرة، ط1، 2003، ص382.
- ¹² - عبد الله الغدامي: الخطيئة والتكفير من البيئوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر-القاهرة، ط4، 1998، ص28.
- ¹³ - صدوق نور الدين: البداية في النص الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا-دمشق، ط1، 1994، ص70.
- ¹⁴ - محمد مفتاح: دينامية النص، تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، لبنان-بيروت، ط2، 1990، ص72.
- ¹⁵ - عز الدين جلاوي: حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، دار الروائع، ط1، سطيف-الجزائر-الجزائر، 2011، ص11.
- ¹⁶ - المرجع نفسه: ص14.
- ¹⁷ - المرجع نفسه: ص15.
- ¹⁸ - المرجع نفسه: ص22.
- ¹⁹ - عز الدين جلاوي: حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص27.
- ²⁰ - المرجع نفسه، صص31، 32.
- ²¹ - نوال بن صالح: جماليات المفارقة في الشعر العربي المعاصر، دراسة نقدية في تجربة محمد درويش، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط1، 2016، ص18.
- ²² - المرجع السابق، ص11.
- ²³ - المرجع نفسه، ص277.
- ²⁴ - المرجع نفسه، ص12.
- ²⁵ - المرجع نفسه، ص، ن.
- ²⁶ - المرجع نفسه، ص138.

- 27- المرجع نفسه، ص278.
- 28- المرجع نفسه، ص284.
- 29- المرجع السابق، ص143.
- 30- عز الدين جلاوحي: حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص17.
- 31- المرجع نفسه، ص162.
- 32- المرجع نفسه، ص391.
- 33- أمين عثمان: فصول في الرواية المغاربية، الدار التونسية للكتاب، تونس-تونس، ط1، 2012، صص46، 47.
- 34- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، مادة (باح)، دار صادر، مج2، بيروت-لبنان، (د)، ط)، ص416.
- 35- المرجع نفسه، ص12.
- 36- المرجع نفسه، ص137.
- 37- المرجع نفسه، ص284.
- 38- عبد الرحيم حمدان: اللغة في رواية تجليات الروح للكاتب محمد نصار، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، كلية فلسطين التقنية، غزة-فلسطين، المجلد 26، العدد 2، 2008، ص104.
- 39- عز الدين المناصرة: علم الشعريات، قراءة مونتاجية في أدبية الأدب، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط1، 2007، ص07.
- 40- بوشوشة بن جمعة: التجريب وارتخالات السرد الروائي المغاربي، المطبعة المغاربية، تونس-تونس، ط1، 2003، ص72.
- 41- فيصل غازي النعيمي: العلامة والرواية، دراسة سيميائية في ثلاثي أرض السواد لعبد الرحمان منيف، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط1، 2010، ص234.
- 42- عز الدين جلاوحي: حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، صص19، 20.
- 43- المرجع نفسه، ص40.
- 44- المرجع نفسه، ص159.
- 45- رينيه ويليك، وأوستن وارين: نظرية الأدب، تر: محي الدين صبحي، مر: حسام الخطيب، منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، مصر-القاهرة، ط1، 1987، ص225.
- 46- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، مادة (ردف)، مج9، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان-بيروت، (د)، ط)، ص114.

- 47 - نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، عالم الكتب الحديثة، الأردن-عمان، ط1، 2009، ص98.
- 48 - عز الدين جلاوي: حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص28.
- 49 - المرجع نفسه، ص، ن.
- 50 - ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، مادة (قبل)، مج11، ص540.
- 51 - حازم القرطاجني (أبو الحسن): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، لبنان-بيروت، ط2، 1981، ص49.
- 52 - عز الدين جلاوي: حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص20.
- 53 - المرجع نفسه، ص15.
- 54 - ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، مادة (قرب)، مج1، ص662.
- 55 - عمار طه أحمد: التقارب بين الأصوات وبين الألفاظ ومعانيها في اللغة العربية، مجلة آداب الفراهيدي، جامعة تكريت، كلية الآداب، العراق-بغداد، المجلد 1، العدد 27، أيلول 2016، ص49.
- 56 - المرجع نفسه، ص38.
- 57 - المرجع نفسه، ص36.
- 58 - المرجع نفسه، ص41.
- 59 - المرجع نفسه، ص285.
- 60 - محمد سالم قريميدة: مصطلح المفارقة والتراث البلاغي العربي القديم، المجلة الجامعة، مركز البحوث والاستشارات العلمية والتدريب، بنغازي، ليبيا-طرابلس، العدد 16، المجلد 1، فبراير 2014، ص73.
- 61 - دي سي ميويك: موسوعة المصطلح النقدي، المفارقة وصفاتها، الترميز، الرعوية، تر: عبد الواحد لؤلؤة، مج4، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان-بيروت، ط1، 1993، ص161.
- 62 - حسن حماد: المفارقة في النص الروائي، نجيب محفوظ نموذجا، المجلس الأعلى للثقافة، مصر-القاهرة، ط1، 2005، ص79.
- 63 - محمد العبد: المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، مصر-القاهرة، ط2، 2006، ص42.
- 64 - عز الدين جلاوي: حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص17.
- 65 - المرجع نفسه، صص23، 24.
- 66 - المرجع نفسه، صص77، 78.
- 67 - المرجع السابق، ص24.
- 68 - نعمان عبد السميع متولي: المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية والتراث العربي القديم دراسة تطبيقية، دار العلم والإيمان، للنشر والتوزيع، مصر-القاهرة، ط1، 2014، ص18.

- ⁶⁹ - عز الدين جلاوي: حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص85.
- ⁷⁰ - المرجع نفسه، صص85، 86.
- ⁷¹ - المرجع السابق، ص19.
- ⁷² - محمد العبد: المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، ص55.
- ⁷³ - عز الدين جلاوي: حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، ص16.
- ⁷⁴ - المرجع نفسه، ص30.